Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (39), (March, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) العدد 39 مارس 2026
ردمد: 3014-6266

الفتنة بين التطور التاريخي وفلسفة التاريخ (35 – 40 هـ)

هاني سالم علي صقر

جامعة الزاوية كلية التربية العجيلات

The Fitna between Historical Development and the Philosophy of History (35–40 AH)

Hani Salem Ali Saqr

University of Zawiya, Faculty of Education, Ajilat

hanysager1984@gmail.com

تاريخ الاستلام:2026/01/06 –تاريخ المراجعة: 2026/01/31– تاريخ القبول: 2026/02/14– تاريخ للنشر:2026/03/11

الملخص:

تُعدّ الفتنة التي وقعت بين سنتي 35هـ و40هـ من أبرز الأحداث في التاريخ الإسلامي المبكر، إذ بدأت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان سنة 35هـ، وما تبع ذلك من اضطرابات سياسية واجتماعية داخل الدولة الإسلامية. وقد أدت هذه الأحداث إلى تولّي علي بن أبي طالب الخلافة، وظهور معارضة سياسية طالبت بالقصاص من قتلة عثمان. وتجلّت الفتنة في صراعات عسكرية كبرى مثل معركة الجمل ومعركة صفين، التي شارك فيها عدد من كبار الصحابة، كما انتهت بظهور جماعات سياسية ودينية جديدة مثل الخوارج. ومن منظور فلسفة التاريخ، تمثل هذه الفتنة مرحلة تحول في تطور النظام السياسي الإسلامي، حيث انتقلت الخلافة من مرحلة الوحدة والتماسك إلى مرحلة الصراع السياسي وتعدد الاجتهادات. كما كشفت هذه الأحداث عن تداخل العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية في تشكيل مسار التاريخ الإسلامي، مما يجعلها نقطة مفصلية لفهم تطور الفكر السياسي في الحضارة الإسلامية.

Abstract:

The conflict that occurred between 35 AH and 40 AH is considered one of the most significant events in early Islamic history. It began with the assassination of Uthman ibn Affan in 35 AH, which led to major political and social unrest within the Islamic state. Following this event, Ali ibn Abi Talib assumed the caliphate, while opposition groups demanded justice for the killers of Uthman. The conflict manifested in major battles such as the Battle of the Camel and the Battle of Siffin, involving several prominent companions of the Prophet. These events also resulted in the emergence of new political and religious groups, most notably the Kharijites. From the perspective of the philosophy of history, this period represents a turning point in the development of the Islamic political system, marking the transition from a phase of unity and cohesion to one of political conflict and diverse interpretations. It also illustrates the complex interaction of religious, political, and social factors in shaping the course of Islamic history, making it a crucial moment for understanding the evolution of political thought in Islamic civilization.

المقدمة

لقد كانت الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت خلال الفترة ما بين (35 – 41) هجري نقطه تحول كبيرة في التاريخ الإسلامي، لما لهذه الحقبة من تطورات كان لها الأثر السلبي على الجانب الديني.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في الوقوف على حقيقة الفتنة الكبرى، وإبراز الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهورها داخل المجتمع الإسلامي.

كما تهدف دراسة الموضوع إلى إزالة الغموض الذي طرأ حول التطورات الاجتماعية والاقتصادية، والتي امتدت خلال عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان ذلك عن طريق وضع عدة تساؤلات:–

- ما هي أهم التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها الدولة الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه؟ وهل كان للعصبية القبلية دور في تنامي فكرة الفتنة الكبرى بين الأمصار الإسلامية؟
- من هو عبد الله بن سبأ؟ وما الدور الذي قام به في ظل هذه التطورات؟ وما هي الوسائل التي أتبعها في إنجاح مخططاته؟
- ما هي أسباب النزاع الذي حدث بين علي وأصحاب الجمل وما نتج عنه ؟
- ما هي حقيقه الصراع بين علي ومعاوية وما هي نتائج هذا الصراع ؟

وقد قسم هذا العمل إلى أربعة مباحث كان أولها جذور الفتنة، وكان الثاني بداية هذه الفتنة، أما المبحث الثالث فقد تحدثنا فيه عن الخليفة علي بن أبي طالب وخلافه مع أصحابه الجمل، وأخيراً كان المبحث الرابع الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان والنتيجة الأبرز لهذا الخلاف هي ظهور فرقة الخوارج وبداية تأسيس الخلافة الأموية، بالإضافة إلى خاتمة ومجموعة من المصادر والمراجع.

المبحث الأول

جذور الفتنة

انطلقت التطورات الاقتصادية في دول الإسلام من الكتاب والسنة، ثم اتسعت لتشمل سير الخلفاء وخصوصاً في العهد الراشد وتطبيقاتهم الشرعية للنظم الاقتصادية، وفيما يلي أهم هذه التطورات:–

1–1 التطورات الاقتصادية والاجتماعية في عهد عثمان بن عفان

بعد ظهور الإسلام وانتشاره في شبه الجزيرة العربية كان من الواضح أن هذا الدين الجديد لا يقتصر على كونه ثورة دينية تستبدل عبادة الأصنام بالتوحيد، أو ثورة سياسية تهدف إلى توحيد شبه الجزيرة في دولة واحدة بل كان ثورة اقتصادية لا تقتصر على نشر العدل الاجتماعي فقط، بل تفتح للعرب أفاقاً لتحسين أوضاعهم الاقتصادية في إطار الفتوحات الإسلامية.(ابن كثير، الطبقات الكبرى، تحقيق: إدوار ددسمو ، لندن ، مطبعة بريل ، 1809 ، ص201).

بعد وفاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وتولي عمر ابن الخطاب الخلافة، اتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية لتشمل الشام والجزيرة العربية ومصر والعراق، مما أدى إلى اتساع الأراضي وكثره الضرائب، وبالتالي امتلأت خزينة بيت مال المسلمين بالأموال الهائلة. (ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار المعارف، الرياض، مكتبة النصر، 1966 ، ص134).

وبعد حادثة مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء إلى الخلافة عثمان ابن عفان، لقد تباينت شخصية عمر وعثمان وسياسة في التصرف في هذا المال؛ من حيث استغلاله لصالح الدعوة الإسلامية ونشرها والحفاظ على هذه الولايات، ومن الملاحظ أن هذا التباين كان واضحاً من خلال سياسة التقشف والزهد التي اتبعها عمر(ابن سعد، مصدر سابق، ص211).

بعكس شخصيه عثمان الذي غلب عليها صفات اللين والرقة والسماحة ، هذا لا يعني تسهل عثمان رضي الله عنه في امور الغنى والترف بل انه وضع حدود لا يمكن تخطيها للحد من تكبر الاغنياء للفقراء اضافه إلى ذلك كان عثمان يهاب من سقوط الدعوة الإسلامية جراء هذا الاستغلال والغناء الفاحش. مع هذا تذكر بعض المصادر الإسلامية ان الخليفة عثمان رضي الله عنه سمح لبعض الصحابة باستغلال بعض الاراضي خارج المدينة والاستفادة منها على غرار طلحه ابن عبد الله كانت غلته 1000 درهم في اليوم وقد شيد دارا بالمدينة بناها بالأجر والجص والساج كما بنى سعد ابن أبي وقاص دارا بالعقيق فرفع في المدينة والبصرة والكوفة وذكرت المصادر ايضا ان عبد الرحمن ابن عوف تراك الف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شات.

لقد ربط طه حسين ثراء بعض الصحابة بالطموح السياسي الذي يسمح لهم بالمنافسة على الخلافة بعد عثمان أي استغلالهم الوضع المالي لكسب انصار، والذي حدث بعد استشهاد عثمان يؤكد نفي هذا الأمر نفياً قاطعاً إذ سرعان ما بايع هؤلاء الصحابة الأغنياء رجلاً محسوباً على تيار الفقراء، وهو علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بما يدل على عدم وجود أي ارتباط بين الثراء المادي والطموح السياسي لهؤلاء الصحابة. المفتوحة ومزاوله النشاط الاقتصادي، قد أدى إلى تشكيل أرستقراطية او توقراطيه قرشيه أثارت هلع الفقهاء والصالحين لانتهاك عدالة الإسلام والحقيقة التاريخية تؤكد أن الخليفة عثمان رضي الله عنه لم يخرج عن القواعد التي سنها الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن جاء بعده ومن جهة أخرى، فإن عثمان اقطع القطائع لبعض الصحابة، ولم يخالف ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم اتبع الخليفة عثمان رضي الله عنه سياسة الاقطاع، وكان يقطع أراضي الصوافي التي تشمل الأرض ممن قتل في الحرب أو هرب. (محمد الذهبي ، تاريخ الإسلام ، تحقيق سعد يوسف واخرون ، ج3 القاهرة ، المكتبة التوفيقية (د.ت) ص112)

كما ركز عثمان بن عفان على الاقطاع في مناطق الثغور لما لها من أهمية في حماية أرض المسلمين، ولقد اختلفت الآراء حول مشروعية امتلاك الصحابة للمال بين مؤيد ومعارض، فهناك من يرى أنه ليس من المانع أن يستثمر الصحابة أموالهم من أجل زيادتها، بينما ذهب آخرون إلى أن النشاط التجاري والطموح السياسي لهؤلاء أن أبرز مما اتهموا بهذا الأمر من الصحابة لم يتولوا أي وظيفة عامة في عهد عمر وعثمان، وينطبق هذا بشكل واضح على عبد الرحمن ابن عوف والزبير ابن العوام وطلحه ابن عبيد الله، بمعنى أن ما ذكر بعض المؤرخين عن الثراء غير المشروع لهؤلاء الصحابة لم يرتبط بأي امتيازات إدارية يمكن أن تكون وسيلة لجمع المال (.السيد عبدالعزيز سالم تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية مؤسسة شباب الجامعة، 1999).

إن كثرة المال والغنى في عهد عثمان لم يكن السبب الرئيسي في إحداث الفتنة، إلا أن بعض المؤرخين اعتمدوا على منهج تزييف الحقائق، واعتبروا أن هذه الأموال قد تضاعفت بطرق غير مشروعة، وهذا أدى إلى فجوة بين الأغنياء والفقراء واستهدافهم لرأس الدولة الذي يعدونه المسؤول الأول عن هذا الوضع. (طه حسين فتنة عثمان ، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).

- على الصعيد الاجتماعي:

إن الفتوحات الإسلامية وإنشاء المدن أو الأمصار الإسلامية في البلاد المفتوحة وانتقال الكثير من القبائل العربية إلى هذه المدن، علاوة على بعض كبار الصحابة واختلاطهم بأهل البلاد المفتوحة واندماجهم في واقع فكري واجتماعي مختلف، عما كانوا فيه أدى إلى تطور خطير في الدولة الإسلامية، حيث بدأت تلك الأمصار الجديدة مثل البصرة والكوفة ومصر تقوم بدور مهم

ومؤثراً في سياسة الدولة الإسلامية، ومن ناحية أخرى نلاحظ ما يقوم به أصحاب الفتنة ضد الخليفة في تلك الأمصار المذكورة كانوا مدفوعين في عوائدهم للخليفة بأغراض شخصية، فمثلاً في الكوفة حدث تطور مهم في المجتمع الكوفي بحيث

أصبحت اليد العليا، هناك بيد اللواحق بينما لا وجود للمجتمع الكوفي السابقين في الإسلام ومن جاهدوا في سبيل نصرته لا وجود لهم مما دفع سعيد ابن العاص والي الكوفة بإرسال رسالة تنبيه إلى الخليفة ينبهه إلى تلك الظاهرة الخطيرة التي اهتم بها الخليفة، وسمح ببعض الصحابة بالهجرة إلى الكوفة والاستقرار فيها كما أمر واليها بأن يكون لهم الكلمة النافذة وأن يكون اللواحق تبعاً لهم .(مفتاح الرباصي ، الفتنة الكبرى، (د.ت)، ص125.)

1-2 العصبية القبلية

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان التعصب القبلي من العوامل الرئيسية في ظهور حروب الردة، حيث نجد في كثير من الروايات ما يدل على قوة تأثير هذا العامل منها أنه هناك حلف بين أسد وغطفان واطئ ثم انفض وبعد إدعاء طليحة الاسدي النبوة قام عينه ابن حصن زعيم غطفان بتجديد ذلك الحلف لمؤازره طليحه، وقد ورد في المبحث السابق أن القبائل العربية التي شاركت في الفتوحات الإسلامية قد استقرت في الكوفة والبصرة والفسطاط وأول ما نلاحظه أن الطابع القبلي كان موجود حتى في التقسيم العمراني لهذه المدن، إذ جاء التخطيط في مدينتي الكوفة والبصرة على الطبيعة القبلية، فقسمت كل منها إلى خطط تساوي عدد القبائل القاطنة فيها وينطبق هذا الوضع على القسطاط، ويذكر ابن عبد الحكم أن عمرو ابن العاص بعد بناء مدينة الفسطاط جعل لكل قبيله خطه تقسم بها .

وفي زمن عثمان أصبحت القبائل العربية الموجودة في المدينة، والتي هاجرت إلى الكوفة والبصرة والفسطاط وبعض الصحابة الأثرياء أصبحت لديهم اليد العليا في هذه المناطق، مما نتج عن امتعاض القبائل العربية الموجودة في الكوفة والبصرة والقسطاط، فهذا أمر خطير وهو لنشوء بما يعرف الحزبية القبلية.

وفي بلاد الشام اختلف الأمر قليلاً عنه في العراق ومصر، حيث اتبع نظام الأجناد فتم توزيع القبائل على مدن بلاد الشام، وأصبح كل جند ينسب إلى المدينة الملتحق بها ولا ينسب للقبيلة، وهناك سبب آخر أسهم في تحييد بلاد الشام في الأحداث التي انتهت بقتل عثمان رضي الله عنه، وهو وجود معاوية الذي كان يملك شخصية قوية ساعده على إدراك العلاقات الاجتماعية للقبائل، ودفعه إلى تكريس نظام الأجناد الذي يحد من خطورة التعصب القبلي من جهة، ويسهم في انضباط أفراده عسكرياً من جهة أخرى وقد ساعد معاوية على نجاح مهمته طوال مده ولايته على بلاد الشام 20 سنة، ولهذا سمح له بالتعرف على كل ما يتعلق بهذه القبائل فاعتمد على سياسة متوازنة ضمنت له جبهة موحدة مستقرة (أبن الاثير ، الكامل في التاريخ تحقيق عبدالله القاضي ج2 بيروت دار الكتب العلمية سنة 1987 ص111.)

الاعراب ماده الفتنة

يقصد بالأعراب هم أهل البدو من القبائل العربية التي كانت تقطن في جهات معينة من المدينة والصحابة في المدينة هم أول من اكتشف دور الأعراب في الفتنة، وقد ورد في المصادر أقوال للصحابة تؤكد هذه الحقيقة، منها قول عائشة رضي الله عنها أن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ومنادي عائشة وطلحه والزبير عندما قاموا بالخروج إلى البصرة سيطرة الغوغاء وجبله الأعراب والعبيد على المدينة .

فهذه الروايات تبين تقييم الصحابة للعناصر التي شاركت في الفتنة كما أن بعض الباحثين، يرون أن ما حدث لا يمكن تفسيره وكأنه "صراع بين مبدأ بدوي عربي قبلي افترض أن قتلت عثمان رضي الله عنه يمثلونه وبين مبدأ إسلامي متجسد في عثمان".

(هشام جعيط ، الفتنة ، بيروت ، دار الطليعة ، 2008 ص77.) ومن الغريب أن يتحول الصحابي الذي زكاه القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم إلى جاهلي يتعصب لأسرته، وأن يتحول الغوغاء الذين حركهم الطمع والجهل إلى مدافعين عن المنهج الإسلامي ولتصبح نتيجة هذه الفتنة "أن مقتل عثمان انتصار كامل للإسلام المستبطن في الوجدان العربي على مخلفات الجاهلية المجسدة في فرع قريش، الأمويين ورجلهم عثمان" (المرجع نفسه ص77.)

المبحث الثاني
بداية الفتنة

2-1 ابن سبأ ودوره في تأجيج الفتنة

اختلف المؤرخون حول شخصيه ابن سبأ ودورها في الفتنة، فبعضهم يرى أن لا وجود لهذه الشخصية في الأصل بينما ذهب آخرون إلى أهمية هذه الشخصية ودورها العميق في تأجيج نار الفتنة.

على أن المستشرقين الذين كتبوا في التاريخ الإسلامي وخاصة في العهود الأولى شككوا في وجود نظرية المؤامرة، واعتبروها موجودة أثناء العصر العباسي مستندين على أدلة تتعلق بالجانب السياسي التي مرت به الخلافة العباسية، كذلك دللوا بأدلة أخرى، وهو الاستقرار السياسي التي تمتعت به الخلافة الراشدة، ووجود أجهزه قوية من شأنها أن تساهم في نشر الأمن بين أرجاء الدولة الإسلامية، على أن لا يمكن الجزم بالقول أنه لا توجد في فترة من الفترات الإسلامية صراعات من أجل إزاحة الخصوم، سواء كان في العصر الإسلامي الأول أو حتى في العصور اللاحقة إزاء هذه المتغيرات والتطورات السياسية التي مرت بها الدولة الإسلامية في عهودها الأولى، وظهرت بعض الشخصيات الجدلية والتي مارست أعمال من شأنها دب روح الفتنة والتفرقة وتأجيجها بين المسلمين، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ. اتفقت غالبية المصادر على أن عبد الله بن سبأ هو يهودي من يهود اليمن، وعرف أيضاً بأنه ابن السوداء نسبة لأمه وأسلم وأعلن إسلامه في أواخر عهد الخليفة عمر لا نعرف عن ابن سبأ قبل إسلامه معلومات، باستثناء وجود بعض الإشارات البسيطة من بعض المراجع، والتي تتحدث عن نشأته في بيئة يهودية قبل أن يعلن الإسلام، كذلك إشارات بعض المراجع على أن ابن سبأ كان يعمل لصالح الروم، حيث واصل عمله التأمري ضد المسلمين مع هذه الدولة.

يرى الباحث بالنظر إلى ما قام به عبد الله بن سبأ في ظل هذه المعطيات التاريخية بأن وجود هذه الشخصية هي حقيقة تاريخية لا يجب الشك فيها، واختلفت المصادر التاريخية حول بداية تحرك ابن سبأ بين الأقاليم الإسلامية لتنفيذ مخططه، فذكره ابن الأثير في أحداث 34 هجرية.

أما الطبري فيذكر أنه غادر الحجاز سنة 33 هجري؛ على أنه بالرغم من التناقض بين المصدرين حول بداية تحركه، إلا ان ابن سبأ دخل الشام مرتين: الأولى عندما قابله أبي ذر 30 هجري، والثانية عندما أُخرج من الكوفة سنه33 هجري. بيد أنه لم يعثر على معلومات مؤكدة حول بداية نشاط ابن سبأ عندما قدم من اليمن إلى المدينة، ربما كانت الظروف السياسية والاستقرار في المدينة ووجود الصحابة. الأمر الذي جعل ابن سبأ يهم بالرحيل عنها لأنها بيئة غير مناسبة لتنفيذ مخططاته. انتقل بعد ذلك ابن سبأ إلى الشام، حيث قابل ابا ذر الغفاري على حسب رواية الطبري وكان ذلك سنه 30 هجري، ولأن الشام لم تكن البيئة المناسبة له ولأفكاره الضلالية فخرج منها. وطيلة بقائه في الشام لم توافين المصادر حول نشاطه؛ بل أن بعض الباحثين استغربوا من الغموض الذي دار حول فترة بقائه، وقلة المعلومات حول نشاطه في الشام باستثناء مخططها الذي سافر إلى الشام من أجله.

وصل ابن سبأ إلى الكوفة وبدأ بنشر ادعاءاته والتفوه بالإشاعات، فانضم إليه كل من عارض والي الكوفة آنذاك، فانقطع عنه كل من اعتزل سعيد ابن العاص على أنه طرد من الكوفة متجهاً إلى الشام مرة أخرى. (البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق عبدالله انس بيروت ، مؤسسة المعارف 1986) .

- مبادئ ابن سبأ

اتسمت مبادئ ابن سبأ بامتزاج بين الدين والسياسة، بمعنى أنه استعمل الدين ليستطيع التحرك لتحقيق أهدافه السياسية، مستغلاً الشعارات الدينية التي تهيج عواطف المجتمع المسلم الذي حاول نشر أفكاره ومعتقداته بينهم، ومن هذه الأفكار هو

أن محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي يخرج آخر الزمان وليس عيسى عليه السلام، كذلك يقول أن أحقية علي بالخلافة وأنه وصى هذه الأمة وغيرها من الأفكار التي يحاول بث فيها روح الفتنة بين المسلمين.

بل أن ابن سبأ من مبادئه هو تاليه علي بن أبي طالب، بل وصل به الحال إلى نكران موت علي أن الحديث عن المبادئ التي جاء بها ابن سبأ يقودنا إلى نقطة مهمة، وهي أن هذه المبادئ تشابه كثيراً المبادئ التي آتى بها اليهود في كتبهم مما يستوحي لنا على أن ابن سبأ كان مطلعاً على هذه الكتب، وكان يهدف في الأساس إلى الفتنة وتفتيت الإسلام والمسلمين.

- الأساليب والوسائل التي اتبعها ابن سبأ لتحقيق اهدافه :-

أن الانتقال من الإطار النظري للمبادئ التي اتخذها ابن سبأ إلى الإطار العملي، لابد من إيجاد أساليب ووسائل لاتباع خطوات لتحقيق أهدافه. (طه حسين فتنة عثمان، مرجع سابق، ص 114) ومن هذه الأساليب التي اتخذها ابن سبأ هو الشعارات الإسلامية، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يستعمل ابن سبأ هذا الشعار كثيراً، ليجعل ستاراً لتحركاته وصدق تداعياته، وكان الهدف هو جمع عدد أكبر من المناصرين له، كذلك إظهار الطعن في الولاة بتلفيق التهم والأكاذيب ضدهم، ومن وراء كل هذا زعزعه الثقة بين الحاكم والمحكوم مستغلا بعض الفجوات في الجهاز الاداري للدولة داخل الأقاليم .(ابن خلدون ، العبر وديوان المبدأ والخبر ، الرياض (د.ت) .

كانت سياسة الخليفة عثمان تهدف إلى الكف من حركات التمرد محاولة استيعاب المتمردين ضد الولاة، الأمر الذي جعله يتخذ عدة قرارات منها عزل الولاة . (الاندلسي ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، سامي انور طاهين ، القاهرة ، دار الحديث ، 2010 م ص198) محاولاً إرضاء الثائرين والعودة إلى رشدهم ووقف تحركاتهم ضد الدولة، ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل.

2-2 ولايات الفتنة

- بداية التحرك في الكوفة

كان للوضع الاجتماعي دور في معارضة أهل الكوفة للولاء المعينين من قبل الحلفاء، وكان ذلك منذ عهد عمر ابن الخطاب . (الطبري تاريخ الامم الملوك ص312).

والحقيقة، أن هذا الوضع الاجتماعي المتمثل ليس بجديد على أهل الكوفة، حيث أن القبائل العربية التي شاركت في الفتوحات واستقرت بها منذ بنائها، كانت هذه القبائل جزء من حركة الردة، لأنهم شعروا باستيلاء قريش على الحكم والمال، فظلوا معارضين على من يتولاهم من الولاة معارضون كل والي مما يضطر الخليفة إلى عزله. (البلاذري مصدر سابق ص398).

حاول الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إرضاء أهالي الكوفة هرباً من نار الفتنة، وذلك بعزل كل والي يشطاطونه ومعارضين له، وأن كان حاكماً يخاف الله وليس لديه أخطاء.

إن الظروف الاجتماعية العصيبة التي عانت منها الكوفة كانت سبب حيرة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه منذ أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث أنه كسرت الشكاوي ضد الولاة والحقيقة أن هذه الشكاوى إما أن يكون أصحابها ذات طموح سياسي، أو يكونوا الأشخاص الذين يدفعهم الحقد نتيجة لمعاقبتهم لشيء اقترفوه كرد فعل ضد الولاة . (ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سابق ص517 .)

هذه هي الأوضاع الاجتماعية، والتي يراها الباحث محرك السياسي لظهور الفتن الكبرى في عهد عثمان ظهرت بوادر الفتنة منذ أن عزل عثمان الوليد، واستلمت من بعده سعيد ابن العاص والذي وقعت في مجلسه حادثة عندما تعدى أحد المتآمرين على مجلسه ورئيس الشرطة، وكانت نتيجة هذه الحادثة أن سعيد منعهم من حضور مجلسه، فبدأوا ينشرون الإشاعات والأكاذيب حتى ينقم عليهم الأهالي، وظل سعيد لا يحرك ساكناً حتى لموه إشراف الكوفة، فقال لهم هذا أميركم وقد نهاني أن

أحرك جيشاً، ومن أراد منكم أن يحرك جيشا فليحركه . (مفتاح الرباصي الفتنة الكبرى ، مرجع سابق، ص178) وبعد مطالبة إشراف الكوفة من عثمان بطردهم، فأمر بإخراجهم إلى الشام وكان والي على الشام معاوية، ويبدو أن على حسب رأي الباحث أن قدومهم إلى الشام كان بموافقة الوالي معاوية بن أبي سفيان بعد مشاورات مع الخليفة عثمان. (طه حسين فتنة عثمان ، مرجع سابق، ص 83) إن سياسة التسامح والتهاون التي اتبعها الخليفة عثمان اتجاه مثيرين الفتنة محاولاً استيعابهم وإصلاح ما يمكن إصلاحه، وهذه سياسة تدل على منهجية الخليفة الإسلامية والتي قابلها عناد من مثيري الفتنة، حتى ولو طبق رغباتهم في عزل الولاة وهذه هي الخطيئة التي ارتكبها عثمان وسياسة اللين التي اتبعها ليست بموضعها. (مفتاح الرباصي الفتنة الكبرى ، مرجع سابق، ص180)

استطاع أشراف الكوفة وبعد موافقة الخليفة عثمان من طرد الأعداد القليلة من مثيري الفتنة إلى الشام، ورغم محاولات معاوية لصد أفكارهم ذات الطابع الهدام، إلا أنهم ظلوا على ما كان عليهم في الكوفة فأمر برحيلهم فتوجهوا إلى الجزيرة العربية. (ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سابق ص520)

- التحرك في البصرة

ظلت البصرة مركز عسكري ثانوي بالمقارنة مع دوري الكوفة في تغلغل الاحداث، والتي ميزت بداية الفتنة أن دور الكوفة التاريخي منذ بداية الدعوة الإسلامية واستقبالها لرجال القبائل الذين فتحوا أواسط أسيا فضلاً عن الإمكانيات التي تميزت بها، وبالرغم من ذلك فإن البصرة كانت تقوم بدور بارز في الأحداث التي مهدت للزحف نحو المدينة، وهنا يجب الإشارة إلى دور بن سبأ في جمع المتمردين من جميع المناطق التي زارها قبل البصرة. (مفتاح الرباصي الفتنة الكبرى ، مرجع سابق ص182) لقد اتخذت هذه المجموعة دور في بث الإشاعات والأكاذيب والطعن في الولاة من أجل تحقيق أهدافها التخريبية؛ بل وصل بهم الطعن في الرجال الصالحين وأشراف البصرة والكوفة والفسطاط من أجل بث التفرقة بين الناس. (ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سابق ص522).

- التحرك في الفسطاط

"عند قدوم ابن سبأ إلى الفسطاط، كان في ذلك الوقت عمرو بن العاص والياً على مصر. ولأن ابن سبأ يريد الاستمرار في مؤامرته التخريبية وبث روح الفتنة ضد عثمان؛ كان عليه أن يزيح عمرو بن العاص، المعروف ذلك الوقت بـ "داهية العرب". (مفتاح الرباصي الفتنة الكبرى ، مرجع سابق ص182) .

لقد وجد ابن سبأ سبيلاً لتحقيق خطته في بعض رؤساء القبائل الذين كان لهم بعض الطموحات السياسية، أضف إلى ذلك وجود شخصيتين من أبناء الصحابة كارهين لعثمان وناقمين عليه، وهما: محمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن أبي بكر الصديق. بدأت بوادر الفتنة التحريضية تظهر في هذين الاثنين؛ حيث بدأوا في بث الأكاذيب والإشاعات للتحريض على عثمان، ولنا في معركة "ذات الصواري" خير دليل؛ عندما ظل هؤلاء يبعثون روح التملل وروح الهزيمة بين جند المسلمين القادمين من مصر، حتى أمر ابن أبي السرح بعودتهما –أي محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر– إلى مصر. وحتى عندما كتب ابن أبي السرح لعثمان يشكوهما، رد عليه برد مفاده التسامح والتساهل معهما، باعتبارهما من أبناء الصحابة وأقاربهم من قريش. (السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ص241) .

إن سياسة العفو والإصلاح والتسامح التي اتبعها عثمان ضد المتآمرين هي السبب الرئيسي لتفشي وانتشار سرطان الفتنة؛ ولو سمح عثمان لولاته باستعمال القوة وصلاحياتهم لتأديبهم، لكانت الفتنة ربما قد هدأت منذ البداية. (السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ص243) كذلك نلاحظ من خلال الأحداث أن محمد بن أبي حذيفة قام بتزوير الرسائل الآتية إلى مصر من قبل الصحابة، والتي تهدف من خلال تصويرها إلى الطعن في حكم عثمان والخروج عليه؛ هنا يبدو أن أيادي ابن سبأ وأصحابه واضحة. (مفتاح الرباصي الفتنة الكبرى ، مرجع سابق ص184)

كذلك من بوادر انطلاق الفتنة من مصر محاولة جلب عمار بن ياسر عندما أرسله عثمان لتقصي الحقائق؛ وكعادتهم حاول المتآمرون استغلال بعض المواقف التي حدثت بين عمار وعثمان، فاستطاعوا جلب عمار إلى صفوفهم مستغلين طيبته. هذا وقد ظهرت أهدافهم على العلن عندما قام محمد بن أبي حذيفة بطرد نائب ابن أبي السرح من مصر مستغلاً غياب الوالي، فدعا إلى خلع عثمان. (ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، مصدر سابق ص522) .

2-3 موقف عثمان من الفتنة

"بعد ما وضحت خيوط المؤامرة على الخليفة عثمان بشكل خاص، وعلى الدولة الإسلامية بشكل عام، والتي تجلت خيوطها في الأمصار الثلاثة آنفة الذكر؛ لزم على عثمان -باعتباره المسؤول الأول عن الرعية- اتخاذ إجراءات وإصلاحات من شأنها الكفُّ والقضاء على هذه الفتنة. ومن ضمن الإجراءات التي قام بها عثمان ما يلي:

1. إرسال الرسائل إلى الأمصار: بعد أن وصلت الأخبار إلى الخليفة عثمان عن ظلم الولاة وتعسفهم على الرعية -والتي هي أصلاً أكاذيب وإشاعات استخدمها المتآمرون ضمن خططهم لنشر الفتنة- بدأ عثمان بإرسال رسائله إلى الأمصار دون وسيط؛ كالرسالة التي ذكرها الطبري، والتي تشير إلى أن عثمان أشار إلى الإشاعات التي يبثها أصحاب عبد الله بن سبأ في الأقاليم والولايات. وقد واصل عثمان، حسبما تشير الرسالة، اتباع نهجه الإسلامي في رد المظالم ومعاقبة الظالم . (الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، مصدر سابق ص517) .

كان عثمان يهدف من خلال هذه الرسالة والرسائل الأخرى التي بعثها إلى الأمصار إلى معرفة الحقائق وإبراء ذمته؛ باعتباره ولياً على المسلمين، ومحاولة الرد على تجاوزات من شأنها أن تُنسب إليه وإلى الولاة. كذلك كان يهدف من خلال هذه الرسائل إلى محاولة الحذر وتوعية المسلمين من خطر القلاقل والفتن.

2. إرسال لجان التحقيق: ومن ضمن الإجراءات التي اتبعها الخليفة عثمان في خضم هذه القلاقل هو إرسال لجان للتحقيق فيها، والتي كان هدفها بالطبع التصدي للزحف نحو المدينة .

(الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، مصدر سابق ص77) .

بالإضافة إلى ذلك، عندما نُقلت إليه أخبار وإشاعات عن تقصير وطعن في الولاة، كان من ضمن الإجراءات التي يقوم بها استدعاؤهم والتحقيق فيما نُسب إليهم. وهنا تجب الإشارة إلى ملاحظة هامة؛ وهي أنه كان دائماً ما يقوم بعزل الولاة بهدف صد الفتن والاضطرابات."

المبحث الثالث

الخلاف بين علي وأصحاب الجمل

3-1 الخلاف في الاجتهاد ام نزاع على الحكم

بعد مقتل عثمان على يد المتآمرين، أصبح الخلاف بين الصحابة حول قضية كيفية معاقبة القتلة؛ ولم يكن الاختلاف بسبب التنافس على الحكم كما يدعي البعض، بينما كان الخلاف تعدد وجهات نظر، مما أدى بالحال إلى استمرار فتنة **ابن** سبأ، والتي وصلت إلى القتال بين الصحابة. وحقيقة الأمر أن مقتل عثمان ووجود قتلته في المدينة أفرز لنا آراءً من الصحابة، لكل منها:

- **الرأي الأول:** نادى بضرورة سرعة القصاص من قتلة عثمان فريقٌ، ومنهم عائشة وطلحة **بن** الزبير؛ الذين تأثروا بمقتل عثمان بهذه الطريقة، ورأوا أنهم قصروا في حق عثمان. (مفتاح الرباصي الفتنة الكبرى ، مرجع سابق ص270)

- **الرأي الثاني:** مجموعة من الصحابة رأت ضرورة التثبت في أمر القصاص وتأجيل البث فيه حتى تستقر الأمور؛ ومنهم علي بن أبي طالب -وهو الخليفة بعد عثمان- وهو يمثل وجهة النظر الرسمية، ومنهم كذلك عمار بن ياسر والقعقاع بن

عمرو. إن علي بن أبي طالب كان يهدف من وراء ذلك إلى تشخيص دقيق للأزمة؛ فهو ذو خبرة كافية تجعله يتريث في اتخاذ القرارات في مثل هذه الأحداث.

– **الرأي الثالث:** هناك مجموعة من الصحابة ترى أن الأحداث التي وقعت عبارة عن فتنة، وهي بطبيعة الحال وقفت موقف الحياد تجاه رأي الفريقين الأولين، مستندين إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم:(ستكونُ فتنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي،من تشرَّف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأً أو معاذاً فليعذ به) (السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ص243) .

وهذا الرأي مثله مجموعة كبيرة من الصحابة، وعلى رأسهم: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وأبو موسى الأشعري وغيرهم. وهؤلاء الصحابة قد قالوها صراحةً: إنهم لا يقتلون من يقول (أشهد أن لا إله إلا الله). وبالنظر إلى هذه الآراء، نجد أن أصحابها يدافعون عنها ويرون أنهم قد سلكوا طريق الصواب. (مفتاح الرباصي الفتنة الكبرى ، مرجع سابق ص275)

3-2 أحداث الجمل

ما كاد عليٌ يصل إلى الربذة حتى علم بما أصاب عثمان بن حنيف وأتباعه من أهل البصرة على أيدي العثمانية؛ فأقام بالربذة بعض الوقت، وأرسل خلال ذلك رسولين من قبله هما: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر إلى الكوفة؛ لدعوة أهلها إلى نصرته. ثم تابع عليٌ سيره إلى البصرة ماراً بـ (فيد) و(الثعلبية) و(الأسد)، حيث بلغه هناك مصرع حكيم بن جبلة.

وواصل سيره بعد ذلك حتى بلغ (ذي قار)، وهناك أقبلت عليه وفود من بكر بن وائل وطيء وأسد، وعرضوا عليه بذل النصرة والعون؛ فشكرهم على عرضهم وأبلغهم بأن لديه من يكفيه من المهاجرين. وفي (ذي قار) أدركه رسولاه إلى أبي موسى الأشعري بالكوفة يخبرانه بفشل مهمتهما؛ فسيّر إلى الكوفة ولده الحسن في صحبة عمار بن ياسر، فعادا هذه المرة ومعهما من أهل الكوفة نحو 9,000، وقيل 12,000، قدموا عليه بذي قار . (ابن الاثير ، الاخبار الطوال ، ص145)

"بلغت عدّة من انضمّ إليه من المهاجرين والأنصار وأهل الكوفة والبصرة –ممن كانوا في المدينة ومن أقبلوا عليه من الكوفة بعد وصوله إلى ذي قار– 20,000 مقاتل. وهناك كتّب الكتائب وجعل على أصحاب كل راية قائداً؛ ثم عقد لسائر قريش والأنصار والحجاز رايةً وولى عليهم عبد الله بن عباس. ثم قسّم هذه الألوية إلى ميمنة جعل في مقدمتها الأشتر النخعي، وميسرة على رأسها عمار بن ياسر، وقلب يتقدمه ابنه محمد بن الحنفية.

ولما بلغ ذلك طلحة والزبير، قاما بتعبئة حشودهما، وقدّر المؤرخون عدتها بـ 30,000. وقسّموا القوات إلى كتائب، ثم عقدا الألوية واستعدوا للقتال. وعزَّ على عليٍ أن يقاتل المسلمون بعضهم بعضاً؛ فأقام ثلاثة أيام ورسله تتردد على أهل البصرة يدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة، ولكنهم لم يستجيبوا لندائه.

فزحف بقواته لخوض المعركة في 10 من جمادى الآخرة؛ فلما دنت صفوفه من صفوف خصومه، وهم وقوف تحت رايتهم العظمى، وعائشة في هودجها في المقدمة، وقد كُسي بصفائح الحديد والدروع يحمله جمل.

"دعا القوم إلى الصلح وناشدهم حقن الدماء، ولكنهم أصروا على الحرب. فطلب عليٌ من طلحة والزبير أن يدنوا منه ليتحدث إليهما، فدنوا منه حتى اختلفت أعناق فرسيهما؛ فذكّر طلحة والزبير بأنهما إخوة في الإسلام يحرمان دمه ويحرم دمهما.

ويجمع مؤرخو العرب على أن الزبير قُتل غدراً بوادي السباع؛ إذ استدبره عمرو بن جرموز –أحد أتباع الأحنف بن قيس– ثم طعنه وقتله . (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ص 244)

أما طلحة فقد أصابه سهم غرب (مجهول المصدر)، فاعتزل المعركة وهو جريح ينزف، ونزل في دار خربة وظل ينزف حتى مات؛ وقيل طعنه مروان بن الحكم بعد أن أيقن بالهزيمة.

وقع الاشتباك في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة 36 هـ؛ وكانت المعركة عنيفة في بدايتها، ولكنها انتهت سريعاً في يوم واحد بهزيمة الحلفاء الثلاثة. واشتد القتال حول هودج عائشة وكثرت فيه السهام، وحماها مروان وجماعة من قيس وكنانة

وبني أسد؛ فأحاط بهم علي بن أبي طالب، وأرسل رجلاً من أهل الكوفة يقال له (أعين بن ضبيعة)، فعقر جملها فسقط الجمل، فمال الهودج بعائشة. فأذن عليٌّ لمحمد بن أبي بكر بأن يتقدم إلى أخته وينزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي. ثم أتاها هناك وقال لها: «يا حميراء، ألم تنتهي عن هذا المسير؟»، فقالت: «يا ابن أبي طالب، قدرت فأسجح (أي فاعفُ)»؛ فقال: «اخرجي إلى المدينة وارجعي إلى بيتك الذي أمرك رسول الله ﷺ أن تقري فيه»، فقبلت. ثم جهزها عليٌّ بكل ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع.

ونهى عليٌّ -رضي الله عنه- أصحابه عن قتل جريح أو أسير، كما نهاهم عن انتهاب أي مال. وكان من بين الأسرى: مروان بن الحكم، وعمرو بن عثمان، وموسى بن طلحة، وعمرو بن سعيد بن العاص؛ فلما عُرض عليهم أن يبايعوه أجابوه إلى ذلك، فأخلى سبيلهم.

المبحث الرابع

الخلاف بين علي ومعاوية

4-1 صفين والتحكيم

"بعد أن قرر أمير المؤمنين أن يقاتل أهل الشام حتى يلزمهم بالبيعة والطاعة، أشار عليه ابنه الحسن بأن يبتعد عن سفك دماء المسلمين، لكنه رفض وصمم على موقفه. (الطبري تاريخ الرسل والملوك ص464) اتجه الخليفة بجنده إلى (النخيلة) قريباً من الكوفة وعسكر بها، ليوافيه هناك جنود البصرة بقيادة عبد الله بن عباس -رضي الله عنه-، ثم توجه إلى (صفين) في عام 36 هجري.

لم تكن هناك رغبة من الطرفين في خوض الحرب؛ إذ إن القبائل في العراق والشام في سابق عهدها كانت واحدة، وقد انقسمت أيام الفتوح؛ لذا فإن صلة الأرحام بينهم كانت قوية، وإن هذه الفترة كانت تمثل أزهى القرون الإسلامية.

بعد وصول الجيشين، أخذت الرسل تتوالى بينهما بغية الوصول إلى حل لتجنب القتال، ولكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل. هنا تخوف المسلمون من استمرار القتال بين الإخوة؛ لأن ذلك الأمر سوف يسبب نزاعاً في الدولة الإسلامية سيستغله أعداؤها، فأصبحت أصوات جديدة تنادي بحلول أخرى، ومنها الامتثال إلى التحكيم والرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه. وقد وقع اختيار معاوية على عمرو بن العاص، الذي يعتبر من أدهى رجالات العرب. (مفتاح الرباصي الفتنة الكبرى ، مرجع سابق ص312) أما علي بن أبي طالب، فقد وقع اختياره على أبي موسى الأشعري؛ بالرغم من أن بعض الروايات تتحدث عن اختياره في البداية عبد الله بن عباس، ولكن فُرض على عليّ أن يختار شخصية أخرى وهي أبي موسى الأشعري من قِبل القرّاء.

الحقيقة أن اختيار أبي موسى الأشعري يبدو لنا من الوهلة الأولى أنه قد حُسم به التحكيم؛ باعتباره من مجموعة الصحابة التي ارتأت أن تقف موقف الحياد في قضية مقتل عثمان، وأنها حاولت وقف الاقتتال منذ البداية بالطرق الشرعية السليمة. ولكن على أي حال، فإن معظم الباحثين يرون أن اختيار هذا الرجل كان مناسباً؛ نظراً لسوء الأحوال الاجتماعية والفتنة التي دبت داخل العالم الإسلامي، حيث ينبغي على أحد الطرفين أن يحسم الصراع وينهي الاقتتال.

بعد اختيار الحكمين والموافقة عليهما، كتب الطرفان وثيقة يوم 17 صفر عام 37 للهجرة، يوضح فيها كل منهما الظروف التي مرت بها الدولة الإسلامية منذ مقتل عثمان، كما أنهما طلبا من علي ومعاوية الحكم بما أنزل الله واتباع أوامر السنة.

اجتمع الطرفان في (دومة الجندل) -وبعض الروايات تحدثت عن (أذرح)- وكثيراً ما حدثتنا الروايات عما جرى بين الرجلين؛ ولكن الأقرب هي رواية الطبري عن أبي مخنف؛ لأنها ذكرت حدوث مكيدة في التحكيم عندما خُدع أبو موسى الأشعري من قِبل عمرو بن العاص؛ حيث اتفق الاثنان على أن يخلع أبو موسى علياً ويخلع عمرو معاوية، ولكن عندما خلع أبو موسى

علياً، ثبّت عمرو معاوية على الحكم. وبهذا انتهى فصل من فصول الصراع بين علي ومعاوية على الحكم، لينتقل الصراع بين علي وأتباعه (الخوارج) من بعد ذلك.(السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ص335.)

4-2 ظهور الخوارج

يرى البعض أن ظهور الخوارج يرجع إلى عوامل اقتصادية؛ فمثلاً إن قبيلة (تميم) كانوا يعيشون قبل الإسلام في فقر، ولم تتحسن أحوالهم كثيراً في ظل الإسلام، بينما كانت القبائل الأخرى تنعم بالثراء. (محمود اسماعيل ، جدل حول الخوارج وقضية التحكيم ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد 20 ، 1970م) .

وعند مناقشة هذا الرأي بموضوعية، يتبيّن أن صاحبه يبالغ في دور العامل الاقتصادي بوصفه أهم أسباب ظهور الخوارج؛ فقبيلة (تميم) التي أشار إليها هي إحدى القبائل العربية التي تباينت مواقف أفرادها بين المنضوين تحت لواء الإسلام والإسهام في الفتوح، وبين المشاركين في حركة الردة وأحداث الفتنة.

ولا نستطيع أن نعمم حكماً واحداً على كل الأفراد في هذه القبيلة بأنهم عاشوا في فقر ولم تتحسن أحوالهم في ظل الإسلام؛ فلا شك أن من شارك في الفتوحات قد تحسن وضعه الاقتصادي عن طريق الغنائم أو (العطاء) الذي يتسلمه من الدولة. ومن جهة أخرى، فلم نجد ما يقنعنا بانفراد قبيلة تميم بالفقر مقابل تمتع بقية القبائل بالثراء الذي يصل إلى حد الترف.

وقد تميز الخوارج منذ ظهورهم بمبالغتهم في تقديرهم لرأيهم، وغلوهم في إلزام الآخرين به، كما تميزوا بالتشدد في الدين والميل إلى شق عصا الطاعة؛ كما أن بذرة الخوارج قد نمت وترعرعت في أحضان (السبئية).(اياد كامل الزيباري ، التداول السلمي للسلطة في نظام الحكم الإسلامي ، بيروت ، دار الكتب العلمية 2012 ، ص293)

كما رفض الخوارج تحكيم الرجال في كتاب الله، ورفضوا إيقاف الاقتتال مع معاوية وأصحابه باعتبارهم (فئة باغية) حتى يفيئوا إلى أمر الله. وعلى الرغم من أن الخوارج –باختيارهم عبد الله بن وهب الراسبي أميراً– قد أعلنوا الانشقاق السياسي عن عليّ، فإنه كعادته آثر معاملتهم بالحكمة والموعظة الحسنة لعلهم يرجعون.

وقد مثّل عليٌّ القدوة الحسنة، وعلمنا الطرق الشرعية في تعامل السلطة مع المعارضة؛ لقد أكد عليٌّ في هذه المعاملة وعيه وإدراكه الفرق بين المعارضة الفكرية التي تخالف السلطة السياسية في المبادئ والشعارات، وبين المعارضة التي تنتقل من القول إلى الفعل وتلجأ إلى السلاح لفرض ما تراه صحيحاً؛ فهو يسلم بحق الاختلاف ويقبل الرأي الآخر ما لم يصاحبه استعمال القوة.

4-3 مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

استعان علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– بفقيه الأمة وترجمان القرآن ابن عباس –رضي الله عنهما–؛ فحاجج الخوارج واستطاع أن يقيم الحجة عليهم، فعاد قسمٌ كبير منهم وأبى الباقون. ومرةً أمسك الخوارج بعبد الله بن خباب بن الأرت وزوجته التي كانت حبلى، فسألوه عن نفسه، فلما عرفوه سألوه عن الخلفاء الثلاثة فأثنى عليهم خيراً؛ فذبحوه، وبقروا بطن زوجته وقتلوها مع جنينها.

فاستحل علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– قتالهم، فقاتلهم قتالاً عظيماً حتى أباد أكثرهم. فكان بعضهم ذات مرة يتذاكرون أصحابهم وكيف قُتلوا، فتعاهدوا على قتل (أئمة الكفر) عندهم؛ فاتفق ثلاثة على قتل: علي، ومعاوية، وعمرو بن العاص. فأخفق اثنان منهم في بغيتهم بأمر الله، وأما الثالث فكان عبد الرحمن بن ملجم؛ فطعن بسيفه –الذي شحذه أربعين يوماً ووضعه في السم أربعين أخرى– علياً في رأسه طعنةً قاتلة. فحمله أهله إلى بيته، ولم يولِّ عليٌّ بعده على الحكم أحداً. ولما سأله أصحابه أن يولي بعده أحداً، قال له بعضهم: «كيف ستقول لربك إن متَّ ولم تولِّ؟»، فقال: «سأقول له ذهبت عن الأمة ولم أولِّ أحداً، كما ذهب رسول الله ﷺ ولم يولِّ أحداً». ومات إثر ذلك، وكان قد أوصى أبناءه وأصحابه أنه إذا مات فيُقتل ابن ملجم ولا يُعتدى على غيره باسم دمه، وإنما هو فقط القصاص؛ فكان ذلك.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة، توصل الباحث إلى عدة نتائج كان أهمها ما يلي:

- كانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في نهاية عهد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وفترة خلافة عثمان –رضي الله عنه– أرضاً خصبة لنشوء الفتنة وتطور أحداثها.
- إن الدور الذي قام به عبد الله بن سبأ في تأجيج الصراع ساهم بشكل مباشر في تعميق النزاع القائم آنذاك.
- شكّلت الكوفة والبصرة ومصر مراكز استراتيجية اتخذها عبد الله بن سبأ ومن معه نقطة انطلاق لمخططاتهم التآمرية ضد الدولة.
- إن سياسة التسامح والتساهل التي اتبعها الخليفة عثمان –رضي الله عنه– تجاه المتآمرين، كانت سبباً من أسباب تفشي الفتنة وعدم السيطرة عليها في بدايتها.
- كان مقتل الخليفة عثمان –رضي الله عنه– الشرارة الأولى للاختلاف والتنازع بين الصحابة، وهو ما نتج عنه لاحقاً أحداث وقعة الجمل.
- كان لظهور الخوارج تأثير سلبي ضاعف من حدة الفتنة؛ بسبب أفكارهم الضالة وتكفيرهم للصحابة، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–.

المصادر المراجع

1. أبو محمد بن حزم الاندلسي ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، سامي انور طاهين، القاهرة، دار الحديث ، 2010 م.
2. أحمد بنيحي البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق عبدالله انيس الطباع ، عمر انيس الطباع ، بيروت مؤسسة المعارف 1986 .
3. اياد كامل الزيباري ، التداول السلمي للسلطة في نظام الحكم الإسلامي ، بيروت ، دار . . الكتب العلمية 2012 .
4. الحافظ عماد الدين ابن كثير ، البداية والنهاية ، بيروت ، دار المعارف ، الرياض مكتبة النصر 1966 .
5. السيد عبدالعزيز سالم تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية مؤسسة شباب الجامعة 1999.
6. طه حسين فتنة عثمان ، القاهرة دار المعارف (د.ت) .
7. عبدالرحمن ابن خلدون ، العبر وديوان المبدأ والخبر ، الرياض المؤتمن للتوزيع (دت)
8. علي بن محمد ابن الاثير ، الكامل في التاريخ تحقيق عبدالله القاضي بيروت دار الكتب العلمية سنة 1987.
9. محمد ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، تحقيق ادوارد ليدن ، مطبعة بريل ، 1809 م .
10. محمد بن احمد الذهبي ، تاريخ الإسلام ، تحقيق سعد يوسف واخرون ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية (د.ت)
11. محمد بن جرير الطبري تاريخ الامم الملوك تحقيق عبدالله علي المهنا ، بيروت ، مؤسسة الاعلمي ،1980م.
12. محمود اسماعيل ، جدل حول الخوارج وقضية التحكيم ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد 20 ، 1970 م
13. مفتاح الرباصي ، الفتنة الكبرى (د.ت) .
14. هشام جعيط ، الفتنة ، بيروت ، دار الطليعة ، 2008 .